الدارة

مجلة فصلية مصورة تعنى بالآثار والتراث

العدد الحادي عشر - المجلد الثالث ١٩٩٠م - ١٤١٢هـ

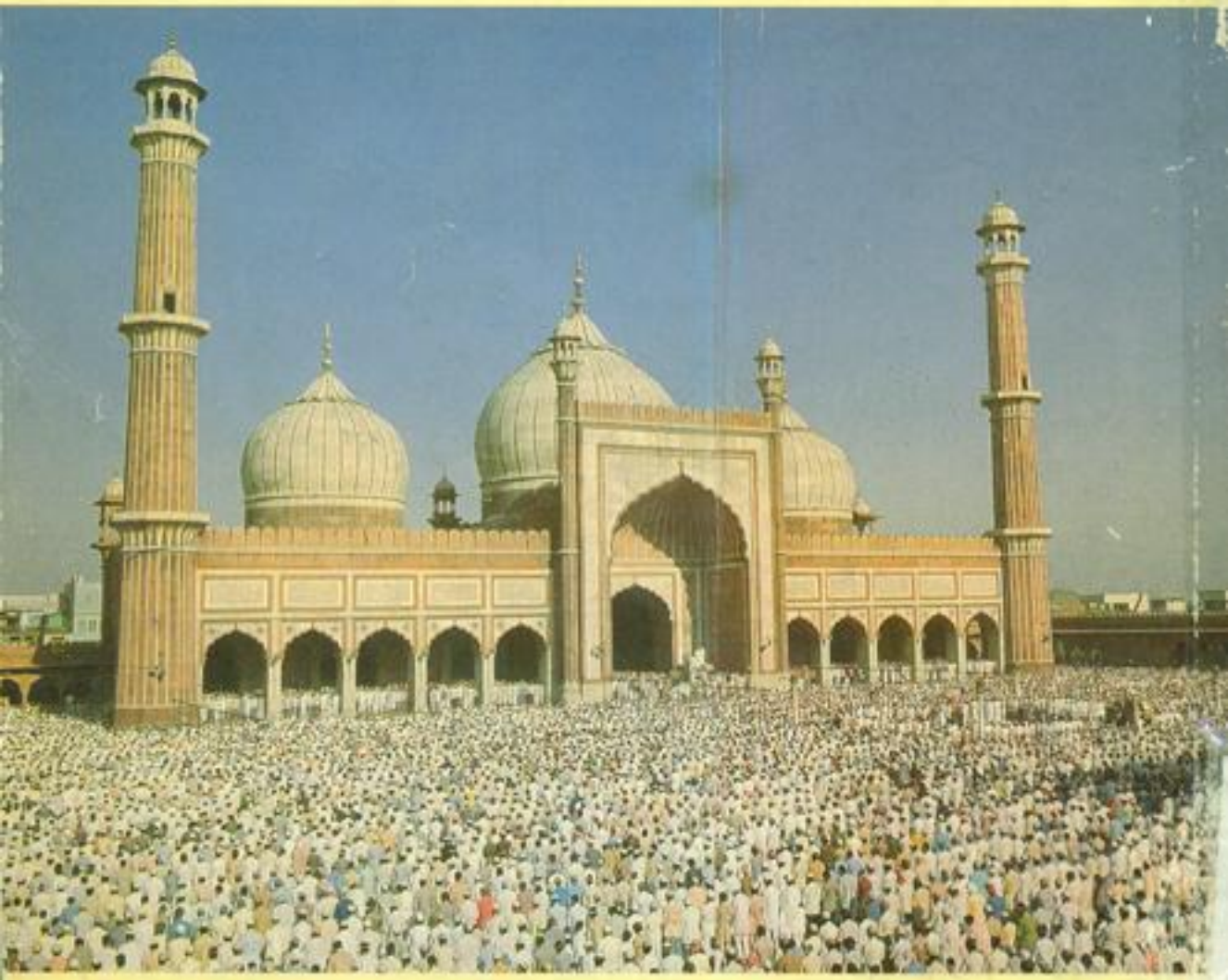

المسجد الجامع في دلهي - الهند

الموسم

فصلية
مجلة
مصورة تعنى بالآثار والتراث

شتاره ثبت ١٣٥٠٤٩
تاريخ ١ خرداد ١٣٨٩
٢١ /١٠/ ١٣٨٩

تصدر عن دار الموسم للإعلام
المراسلات : بيروت ـ لبنان ص.ب ١١٣/٥١٤٤

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

صاحبها ورئيس تحريرها
محمد سعيد الطريحي

الموزعون :

المملكة المتحدة ـ لندن ـ مكتبة الساقي
AL SAQI Books 26 WESTBOURN GROVE, LONDON W2 5RH TEL: 071-2298543, FAX: 071-2297492, TELEX: 919595G

دولة البحرين ـ مكتبة الريف الثقافية ـ شارع حد حفص ص.ب ٢٠٠٣٠ هاتف ٦٤٠٧١٣ ـ ٢٥٠٧٢٤ ، فاكس ٢٥٠٧٢٤ .

لبنان ـ المؤسسة العالمية لتوزيع الكتاب ـ بيروت ص.ب ٧٩٥٢ هاتف 835550-835820 تلكس FAGER-20398LE

سلطنة عمان ـ مكتبة المعرفة ـ مطرح ـ شارع الكورنيش ص.ب ٦٧٦٣ هاتف ٧١٣٦٠٧ فاكس ٧١٤٥٣٩

الهند NAGAFI HOUSE,159 Nishan pada rood Bombay - 400009 Tel: 6720350 - 8513299 - 861455

ايران ـ انتشارات صادق ـ تهران ـ خيابان ناصر خسرو ـ كوچه حاج نايب باساژ مجيدي تلفون ٣٩١٤٠١ ـ ٨٥٢٣٢٥

فرنسا ـ ABBAS AL BOATANI, 12 rue SADI CARNOT 92120 MONTROUGE Tel: 42536728

الاشتراك السنوي: للافراد ٤٣٠ وللمؤسسات ٤٥٠ يرسل باسم صاحب المجلة الى
بنك الاعتماد اللبناني فرع شتورة ـ لبنان رقم الحساب:
CRÉDIT LIBANAIS SAL AGENCE: CHTAURA, Lebanon No: 20.01.161.23138.00.10

المواد المنشورة لا تعبر بالضرورة عن رأي الدار

الحوار المخلص (٣)

الشيعة والعالم

حوار مع

الشيخ حسن الصفار

(المملكة العربية السعودية)

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

- مطلوب منا التبشير بمرحلة جديدة نتجاوز فيها سلبيات الاختلاف .
- التشيع ليس تياراً عقائدياً ولا مدرسة فقهية مذهبية فقط ، بل هو رؤية وموقف تجاه الواقع الذي تعيشه الأمة الاسلامية .
- نحن بحاجة الى أجواء الحرية والانفتاح الفكري لتتحرك العقول وتبدع الأفكار .
- آن الأوان لعقد الحوارات البنّاءة والمؤتمرات الهادفة لتقويم ودراسة الواقع الحوزوي والمرجعي .
- نطالب بمعاهد خاصة للخطابة الحسينية ضمن حوزاتنا العلمية .

س : كيف ترون صورة العلاقات والتعامل بين التوجهات والتجمعات المختلفة والمتعددة داخل الطائفة الشيعية ؟

ـ لا بد أن نقرر في البداية ان التعددية والاختلاف في المجتمعات البشرية حالة طبيعية وحق مشروع ، فلو استقصينا أوضاع المجتمعات البشرية في أزمنة التاريخ ، مهما كانت أديانهم ومذاهبهم ، لرأينا حالة الاختلاف والتعددية موجودة قائمة ، وقد يتراءى للبعض ان المجتمع الديني لا مجال فيه للاختلاف والتعددية ، فما دمنا جميعاً نؤمن بدين واحد ومذهب واحد ، فما هو مبرر الاختلاف وتعدد الآراء والجهات ؟ ولكن بشيء من التأمل يكتشف الانسان بساطة هذا التصور ، فهناك أسباب وعوامل عديدة تستلزم حصول التفاوت والتباين داخل المجتمع الديني ، ولدينا مفاهيم وتعاليم توضح هذه العوامل وتوجهنا الى كيفية التعامل معها . .

فأولاً : التفاوت في مستوى الايمان ودرجاته ، والذي وردت حوله نصوص كثيرة حتى أفرد لها العلامة المجلسي (رحمه الله) في موسوعته (بحار الأنوار) باباً خاصاً تحت عنوان : «درجات الايمان وحقائقه» في كتاب الايمان والكفر ج٦ من ص١٥٤ الى ص١٧٥ .

وبالطبع فإن تفاوت مستوى الايمان قد يسبب تفاوتا في الآراء والسلوك والممارسات . يقول الله تعالى : «هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون» آل عمران ١٦٢ .

وعن عبد العزيز القراطيسي قال : قال لي أبو عبد الله الصادق (عليه السلام) : «يا عبد العزيز ان الايمان عشر درجات بمنزلة السلّم ، يصعد منه مرقاة بعد مرقاة ، فلا يقولن صاحب الاثنين لصاحب الواحد : لست على شيء حتى ينتهي الى العاشرة . . فلا تسقط من هو دونك ، فيسقطك من هو فوقك ، وإذا رأيت من هو أسفل منك بدرجة فأرفعه اليك برفق ، ولا تحملن عليه ما لا يطيق فتكسره ، فإن من كسر مؤمناً فعليه جبره» (البحار ج٦٦ ص١٦٥) .

وفي الحديث اشارة مهمة الى انه حينما تقاطع من يختلف معك ، فإن الآخرين سيقاطعونك لاختلافك معهم ، كما يوجه الحديث تحذيراً شديداً الى من يسقطون اعتبار اخوانهم المؤمنين ويتجاهلون حقوقهم وشخصياتهم لا لشيء إلا لأنهم لا يوافقونهم في كل ما يعتقدون أو يعملون . .

وفي رواية اخرى عن الامام الصادق ايضاً يرويها الصباح ابو سيابة ، عنه (عليه السلام) . انه قال : «ما أنتم والبراءة يبرأ بعضكم من بعض ؟ ان المؤمنين بعضهم أفضل من بعض ، وبعضهم أكثر صلاة من بعض ، وبعضهم أنفذ بصيرة من بعض . وهي الدرجات» (المصدر ص١٦٨) .

وثانياً : تفاوت مستوى المعرفة والوعي : فما كل الحقائق يكتشفها كل الناس ، وبدرجة واحدة من الوضوح ، ونصيب الناس من العلم ليس واحد يقول تعالى : «نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم» (سورة يوسف٧٦) .

واختلاف مستوى العلم والمعرفة يحدث اختلافاً في الآراء والتوجهات ، فقد تتجلى حقيقة فبعضنا تقوده الى قناعة وعمل معين ، بينما يرفض الآخرون تلك القناعة وذلك العمل لعدم اطلاعهم واقتناعهم بتلك الحقيقة الأساس ، لذلك يقول الامام علي (عليه السلام) : «الناس

أعداء ما جهلوا» .

وقد تتوفر لأحدنا معلومات تدفعه لموقف معين ، بيد أن من لا يمتلك تلك المعلومات أو لا يعتمدها لا يمكنه أن يتخذ ذات الموقف . . وهذا وارد ليس بين المؤمنين فقط بل حتى بالنسبة للأنبياء والأولياء المعصومين المقربين ، فإذا شاءت حكمة الله تعالى أن يطلع نبياً على حقيقة معينة يحجبها عن النبي الأخر فسوف تكون النتيجة نوعاً من التفاوت والاختلاف في الرأي أو الموقف بين ذينك النبيّين . . كما يبدو من قصة نبي الله موسى والخضر (عليهما السلام) التي يذكرها القرآن الحكيم في سورة الكهف . . وأيضاً في قضاء النبيين داود وسليمان (عليهما السلام) إذ يحكمان في الحرث ، حسبما ورد في سورة الأنبياء .

وعلى هذه الأرضية يكون اختلاف الفقهاء والمجتهدين في الفتوى ، حيث يبذل كل واحد منهم جهده العلمي ، ويستخدم قدرته الاجتهادية لاكتشاف حكم الله في كل مسألة ، ولكنهم قد يختلفون في فتاواهم حتى أن المذهب الواحد كما هو معروف لدينا . . واختلافهم مظهر من واقعية الاختلاف في حياة البشر وقبول الإسلام لهذه الواقعية . .

وثالثاً : اختلاف المصالح : فالمعصوم فقط هو الذي تكون دوافعه في أفكاره وأعماله ومواقفه نابعة من الحق وقاصدة اليه ، والعصمة رتبة عظيمة يختص بها الملائكة الذين هم «عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون» والأنبياء فالنبي معصوم «وما ينطق عن الهوى ان هو إلا وحي يوحى» والأئمة الذين أذهب الله عنهم الرجس فطهرهم تطهيراً .

أما سائر الناس ومنهم المؤمنون ومهما علت درجات ايمانهم فهم بشر للمصالح والأهواء دخل وتأثير على آرائهم ومواقفهم ، فكل جهة أو فئة أو جماعة تسعى وتعمل للدفاع عن مصالحها ومنافعها ، وعلى أساس ذلك تتخذ مواقفها وتتبنى قناعاتها . .

من كل ما سبق نقرر أن حالة الاختلاف والتعددية حالة طبيعية عند الشيعة كما عند غيرهم ولكن الكلام حول التعامل مع هذه الحالة حيث يكون هذا الاختلاف والتعدد في غالب الأحيان سبباً للتباعد وللعداوات والنزاعات ، وهذا ما تعاني منه بعض مجتمعاتنا حيث أصبح الاختلاف في الانتماء لهذا المرجع أو تقليد ذلك المرجع ، أو الاختلاف في الموقف السياسي والانتماء الحزبي ، أو الاختلاف حتى في بعض الآراء والأفكار ، وفي بعض الأحيان حتى بين أصحاب الحسينيات ومواكب العزاء . . أصبح ذلك الاختلاف سبباً للصراع ومعوقاً للوحدة والتعاون !!

والمطلوب منا حالياً أن نبشّر بمرحلة جديدة نتجاوز فيها سلبيات الاختلاف ، فالعالم من حولنا يدخل الآن عهد وفاق جديد ، بعد فترة طويلة من الحرب الباردة بين المعسكرين الغربي والشرقي ، ومنطقتنا الشرق الاوسط قد تكون مقبلة على وضع جديد ، كما تشير تصريحات كبار السياسيين في العالم ، والعقد الماضي وما حفل به من تجارب وأحداث ، يجب أن يعطينا تجربة ونضجاً في تعاملنا مع بعضنا البعض ضمن الحدود التالية :

١ ـ **الاعتراف بحالة التعددية ومشروعيتها** : أما إذا تنكر كل منا لوجود الآخر ، واعتبر وجوده وحده هو المشروع والأصل ، وأراد أن يفرض وصايته على الآخرين ، وأن يذوبوا فيه ،

ويلتحقوا به ، فإن ذلك سيجعلنا نهباً للصراعات والفتن ، وتكون مصلحتنا كمذهب وكطائفة ضحية لهذا الطلب غير الواقعي . .

٢ ـ **وضع حد للنزاعات والصراعات** : وأن تسود أخلاقية الاحترام المتبادل ، فقد رأينا كيف عادت علينا جميعاً حالات النزاع والدعايات والاتهامات المتبادلة ، عادت علينا جميعاً بالضرر ، واستغلتها الأطراف الخارجية ، والعناصر المغرضة في داخلنا . . وهنا يأتي دور وسطاء الخير ودعاة الاصلاح من الواعين المخلصين وعلماء الطائفة ورجالاتها ، بأن ينبروا لمعالجة أي خلاف ينشب أو سوء تفاهم يحدث ، ومؤسف جداً ندرة هذا النوع من المواقف ، حيث أن الكثيرين إما أن يتورطوا في الصراعات وينحازوا لأحد أطرافها ، أو يتركوا الحبل على الغارب ولا يرون لأنفسهم دوراً أو مسؤولية في هذا الشأن .

٣ ـ **نشر ثقافة التقارب والتسامح والتعاون** ومحاربة الأفكار والإثارات التي تشجّع التعصب والعزة بالإثم فعن الإمام الصادق (عليه السلام) : «من اتهم أخاه في دينه فلا حرمة بينهما» وفي حديث آخر عنه (عليه السلام) : «إياكم والخصومة في الدين فإنها تشغل القلب عن ذكر الله عز وجل ، وتورث النفاق ، وتكسب الضغائن ، وتستجير الكذب» .

وأسوأ شيء هو اضفاء صفة الشرعية على الصراعات والنزاعات حيث يعتقد البعض أن تكليفه الشرعي يكون في اسقاط الآخرين المخالفين له ، وان له الثواب في نشر المساوىء عليهم !!

٤ ـ **وضع صيغ للتعاون بين مختلف الجهات على المستوى العام أو على الصعيد المحلي** . .

وهناك تباشير وآمال كبيرة في بدء مرحلة جديدة يسودها الصفاء والتعاون بين مختلف جهات الطائفة وعلى كل مستوياتها إن شاء الله تعالى ، وأرجو أن تلعب مجلة الموسم دوراً رياديا في مجال الاعلام والثقافة لخدمة اتجاه الوحدة والتعاون داخل الطائفة وبين الطائفة وسائر المسلمين وأن تكون منبراً مفتوحاً لكل الآراء والاتجاهات الفاعلة . .

س : هناك من يرى بأن الأنشطة السياسية والأعمال الجهادية التي قامت بها بعض الحركات والجهات الشيعية في العقد الماضي قد خلّفت آثاراً سلبية على الوضع الشيعي اجتماعياً وسياسياً ، كما أعطت المبرر لتشويه صورتهم على المستوى الدولي فما هو رأيكم ؟

ـ معلوم ان هناك توجهين في فهم الاسلام والتشيع وعلاقتهما بالواقع الاجتماعي ، فالتوجه الأول ينظر الى الدين في حدود المسائل العقائدية والعبادية والوعظية ، دون الاهتمام والتدخل في الشؤون السياسية والاجتماعية ، وبناء على هذا الفهم فالتحرك والنشاط الشيعي ينحصر في الالتزام بفقه أهل البيت عليهم السلام وإحياء شعائرهم ، ونشر أفكارهم وفضائلهم . . ولا ينبغي أن يتجاوز ذلك الى العمل الجهادي والسياسي ، لأن ذلك يتناقض مع مفهوم التقية (حسب نظرتهم) ويشكل استباقاً وتسرعاً للدور التغييري الشامل الذي سيقوم به صاحب العصر والزمان عجل الله تعالى فرجه . . ولأصحاب هذا التوجه منظومة من الأفكار والقناعات يستدلون لها بمختلف النصوص الدينية والمواقف التاريخية . . ولسنا الآن في مورد مناقشة هذا الموضوع ولكنا نريد الإشارة الى أن للتساؤل المطروح هذه الخلفية ، وانطلاقاً منها

يحصل هذا الاشكال . .

أما التوجه الآخر فيرى ان الدين معني بجميع جوانب حياة الانسان والمجتمع ، والشأن السياسي له الدور الرئيسي والتأثير الكبير على كل مجالات الحياة ، فمن غير الممكن تجاهله وإهماله من قبل الانسان المؤمن . . والتشيع ليس تياراً عقائدياً ولا مدرسة فقهية مذهبية فقط ، بل هو رؤية وموقف تجاه الواقع الذي تعيشه الأمة ، وتوجيهات أهل البيت عليهم السلام تدفع أتباعهم الى تحمل المسؤولية في الدفاع عن مصالح الاسلام وقضايا المستضعفين فأمير المؤمنين علي (عليه السلام) يقول : «وما أخذ الله على العلماء ألا يُقارُّوا على كَظة ظالم ولا سغب مظلوم» والإمام الحسين (عليه السلام) يروي عن جده رسول الله (صلى الله عليه وآله) قوله : «من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرام الله ، ناكثاً لعهد الله ، مخالفاً لسنة رسول الله ، يعمل في عباد الله بالاثم والعدوان فلم يغيّر عليه بفعل ولا قول كان حقاً على الله أن يدخله مدخله» . . إلى كثير من النصوص والروايات الموجودة في مظانها ، وإلى جانب هذه التعاليم والتوجيهات هناك حياة الأئمة أنفسهم والتي كانت حافلة بمواقف الجهاد والثورة والمعارضة للفساد والظلم ، ونتيجة لذلك تحمّل أهل البيت تبعات مواقفهم الرسالية ، ودفعوا حياتهم ثمناً لتلك المواقف ، وعاشوا الآلام والغصص والتشريد والتنكيل ، واتباع أهل البيت وشيعتهم عرفوا في التاريخ بأنهم ضمير الأمة ، وحماة الرسالة وثورات العلويين والهاشميين الدائمة مثال على ذلك . .

والنشاط السياسي والتحرك الجهادي للحركات الشيعية المعاصرة إنما هو امتداد لذلك التاريخ ، وانبثاق من ذلك الفهم لدور الدين في الحياة ومسؤولية المؤمن تجاه الواقع المعاش ، وبناء على هذا الفهم والتوجه لا ضير في تحمل المعاناة والصبر على مضاعفات الموقف الايماني الرسالي الملتزم ، اقتداء بأهل البيت عليهم السلام وأسوة بهم ، فقد شوهت سمعتهم ، وشكك البعض حتى في دينهم كما هو الحال في اتهام الخوارج للامام علي بالشرك ، ودعايات معاوية ضده بأنه لا يصلي ولا يغتسل عن الجنابة ، وكما اتهم الامام الحسين (عليه السلام) بالخروج عن الدين ، وسبيت نساؤه وعائلته ، ويمكن القول ان حياة أهل البيت عليهم السلام سلسلة متواصلة الحلقات من الآلام والمآسي ، وملحمة رائعة من الجهاد والفداء من أجل الله والمستضعفين .

من ناحية اخرى فإن ما قامت به الحركات الشيعية من جهاد وتحرك إنما يأتي ضمن صحوة ونهضة اسلامية هبَّ نسيمها على جميع المسلمين ، حيث أفاقت جماهير الأمة على نفسها لترى أن واقعها بعيد عن منهج الله ، وانها تعيش حياة التبعية والتخلف ، ويلفها الحرمان والجهل ، وأزمة أمورها بأيد غير كفوءة ومخلصة ، فتحركت الغيرة والشعور بالمسؤولية لدى الواعين المخلصين ، وتشكلت الحركات والمنظمات ، وحدثت الانتفاضات والثورات ، في مختلف البلدان الاسلامية . . والشيعة وهم جزء لا يتجزأ من الأمة الاسلامية ما كان يصح لهم التخلف عن ركب الصحوة والنهضة الاسلامية التي تهدف الى تحكيم الدين في الحياة وإعلاء كلمة الله ، وإعادة أمجاد المسلمين . . وما حصل كان ضمن هذا السياق وهو في مجمله مدعاة للفخر والاعتزاز . كما ان شدة الظلم والقمع والاضطهاد الذي تتعرض له الطائفة في بعض البلدان

يشكل عاملاً ضاغطاً ودافعاً باتجاه المقاومة ورد الفعل .

وإذا كانت هناك آلام ومآسي ومضاعفات قد حصلت للطائفة الشيعية بسبب تلك الأعمال السياسية والجهادية فإنها لا يصح أن تحجب عنا رؤية الانجازات والمكاسب التي تحققت للاسلام والمسلمين من خلال تلك الأنشطة ، حيث انتشرت رقعة الوعي الديني ، وازداد التفاف الجمهور حول القضايا الاسلامية ، واضطرت العديد من الحكومات الى الاهتمام بالاسلام والتظاهر بالتزامه ، وأصبح الاسلام واقعاً وموقفاً يفرض نفسه على المستوى العالمي والمحلي والاجتماعي . .

بالطبع فإن الحديث عن مشروعية التحرك ومبررات النشاط السياسي الجهادي لا يعني القبول بجزئيات وتفاصيل كل الممارسات التي تحصل انطلاقاً من ذلك ، فالمجال مفتوح والساحة واسعة ، لأساليب العمل المختلفة وأشكاله المتعددة ، ويمكن النقاش حول بعض الممارسات ، أو توجيه النقد لبعض المواقف ، فقد تتعدد الاجتهادات ، وتحدث التداخلات ، وتحصل الأخطاء . .

ولا يفوتنا ان نشير الى ان هناك جهات دولية وسلطات محلية ، وبعض المغرضين الطائفيين ، عملوا كثيراً على تضخيم بعض السلبيات ، وإثارة الاتهامات ضد الحركات الاسلامية الجهادية بشكل عام والحركات الشيعية منها بالخصوص ، وعلينا ان لا نخضع للحرب النفسية ، وننهزم أمام التضليل الاعلامي ، فالاعلام كان ولا يزال سلاحاً يستخدمه المستكبرون والظالمون ضد تحرك المستضعفين والمظلومين .

س : في مقابل إثارة النعرات الطائفية والتفرقة المذهبية بين السنة والشيعة هناك اطروحات ومشاريع للتقريب بين المذاهب الاسلامية ولتوثيق أواصر الوحدة بين المسلمين ، وباعتباركم من المهتمين بطرح هذه القضايا في كتاباتكم وخطاباتكم هل ترون في الأفق طروحات جادة في هذا السبيل ؟

ـ الصراعات الطائفية في الأمة وإثارة التفرقة المذهبية عادة ما يكون خلفها عاملان : العامل السياسي ، حينما تخطط جهات أجنبية أو سلطات منحرفة ، لإشغال المسلمين عن قضاياهم المصيرية أو لتمزيق وحدتهم ، وأكثر ما كان يحدث في العقد المنصرم ، هو بسبب هذا العامل ، فقد أرعب الاستكبار العالمي ، وأحست الأنظمة المنحرفة بالخطر الداهم ، من نمو الصحوة الاسلامية ، وتحرك المسلمين وعودتهم الى دينهم والمطالبة بتحكيمه في الحياة ، وفي مواجهة هذه اليقظة الاسلامية استخدم الأعداء اجراءات كثيرة كان من بينها نبش أوراق الخلافات الطائفية المذهبية . .

والعامل الثاني هو التخلف الذي تعيشه قطاعات كبيرة من الأمة في المجال الثقافي والأخلاقي ، هذا التخلف الذي يتجلى في جهل المسلمين ببعضهم البعض ، وفي عدم وجود الانفتاح المتبادل ، والحوار الايجابي ، وفي أخلاقية التعصب والتشدد تجاه الرأي الآخر . . وطوال تاريخ المسلمين كان هناك خطان ونمطان في التعامل مع الاختلاف والتعدد المذهبي : خط التسامح وتجاوز مناطق الخلاف الى أفق الوحدة الاسلامية والمصلحة المشتركة ، وخط

التعصب والارهاب الفكري الذي يثير دائماً جزئيات الاختلاف ويضخمها حتى لا تكون هناك فرصة لأي لقاء أو حوار أو تعاون . . والتوجه العام لأئمة أهل البيت عليهم السلام ولأتباعهم الواعين هو في مسار الخط الأول ، وليس على صعيد التوجيه والارشاد فقط وإنما حتى على مستوى الممارسة والحكم في الفترات التي تكون بيدهم السلطة الزمنية ، كما يروي الشيخ الطوسي مثلاً في التهذيب عن موقف الإمام علي (عليه السلام) حينما تولى الخلافة من المسائل الفقهية المخالفة لرأيه الذي نعتقده معصوماً وكاشفاً عن حكم الله ، ومع ذلك كان يتغاضى ويتيح المجال لمن يلتزم ويعمل بذلك الرأي المخالف لرأيه ولا يستسيغ حصول مشكلة تكدّر صفو الوحدة ، أو تخدم أهداف المغرضين من أجل مسألة جانبية ، جاء في التهذيب أنه «لما قدم أمير المؤمنين عليه السلام الكوفة أمر الحسن بن علي ان ينادي في الناس : لا صلاة في شهر رمضان في المساجد جماعة ـ يعني صلاة التراويح التي أفتى بها عمر بن الخطاب في عهده ـ فنادى الحسن بن علي في الناس بما أمره أمير المؤمنين فلما سمع الناس مقالة الحسن بن علي صاحوا : وا عمراه . . فلما رجع الحسن الى علي قال له : ما هذا الصوت ؟ فقال : يا أمير المؤمنين الناس يصيحون : واعمراه واعمراه !! فقال أمير المؤمنين لهم صلوا . .» التهذيب ج٣ ص٧٠ للشيخ الطوسي .

وإني متفاءل جداً في المرحلة الحاضرة من أن هناك وعياً وحدوياً أخذ ينتشر في صفوف المسلمين ، وأن أخلاقية التسامح وسعة الصدر واحترام الرأي الآخر هي من سمات هذا العصر الذي ترتفع فيه أصوات الدعوة الى الديمقراطية واحترام حقوق الانسان . .

ولعل مما يخدم اتجاه الوحدة الاسلامية انفتاح المسلمين على بعضهم البعض وانتشار المعرفة المذهبية ، بأن تتاح الفرصة أمام كل مسلم للاطلاع بشكل مباشر على آراء سائر المذاهب الاسلامية ، أما الجهل والانغلاق فهو أرضية قبول الدعايات والشائعات المغرضة .

س : الحديث الذي أدلى به سماحة العلامة السيد محمد حسين فضل الله لمجلة الموسم ونشر في العدد الثامن أثار العديد من المناقشات والتساؤلات وخاصة فيما يتعلق بموضوع المرجعية الدينية فما هو رأيكم وتعليقكم على هذا الجانب ؟

ـ في البدء أعرب عن احترامي وتقديري للدور الذي يقوم به سماحة العلامة فضل الله حفظه الله في إثراء الثقافة الاسلامية بانتاجه الفكري الذي يتميز بمواكبته لمتطلبات الساحة وبمعالجته للمشاكل والهموم الحاضرة وأيضاً بالجرأة والشجاعة في طرح القضايا والمسائل التي يتهيب الكثيرون من طرحها .

وبالنسبة الى حديث سماحته حول المرجعية والواقع الشيعي المعاش أود الإشارة الى النقاط التالية :

أولاً : اننا يجب أن نتجاوز حالة الخوف من النقد ، واتخاذ الموقف السلبي الرافض تجاهه ، فما دمنا لا ندعي العصمة لأنفسنا ، ونتطلع للأفضل ، ونؤمن بدور التناصح والتواصي ، فعلينا ان نقبل النقد والتقويم لكل أوضاعنا وقضايانا ، والذين يرفضون النقد كأنهم يدّعون ضمناً العصمة ، أو يفتقدون التطلع للأفضل ويرون انه ليس بالامكان افضل مما كان

من أعمالهم ، أو ينعالون ويترفعون على قبول التناصح والتواصي .

والقرآن الحكيم حينما يذكر توجيهات وتأديبات الباري سبحانه وتعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وآله على مسامع الأجيال ، ويتحدث عن أخطاء وثغرات المجتمع الاسلامي الاول مرشداً لهم الى تلافيها وتصحيحها ، إنما لكي يربّي الامة الاسلامية والبشرية جمعاء على ضرورة التقويم والمراجعة والنقد .

والنقد والتقويم ليس موقفاً عدائياً ، ولا يصح النظر الى أي نقد على انه تجريح أو تشهير وانتقاص ، وربما تتصور بعض الأوساط الدينية ان النقد يسبب كشف ثغراتنا ونقاط ضعفنا أمام الآخرين ، وأمام الجمهور فتقل وتضعف ثقته في الجهات الدينية . ولكن هذا التصور ينطوي على بساطة واضحة ، حيث لم يعد وضع الطائفة الشيعية ولا واقع مرجعيتها ، أمراً خفياً ، بل هي تحت المجهر وتسلّط عليها الأضواء ، وتجري حول أوضاعها البحوث والدراسات ، وقد يكون ما يعرفه الآخرون من تفاصيل أوضاعنا أكثر مما يعرفه الكثيرون منا . . وبسبب انتشار الوعي والمعرفة وانفتاح مجتمعاتنا على العالم ، فإن تساؤلات كثيرة ، وحديثاً واسعاً يدور في أوساط الجمهور الشيعي حول مؤسساته الدينية القيادية ، وعلينا ترشيد وتوضيح القضايا والأمور حتى لا يستغلها الأعداء لتضليل مجتمعاتنا ، وذلك بمناقشتها وتداولها والتحاور حولها وليس بالتستر عليها والتعتيم . .

ثانياً : اننا بحاجة الى أجواء الحرية والانفتاح الفكري ، لتتحرك العقول ، وتبدع الأفكار ، أما إذا ساد الارهاب الفكري ، واتهمنا كل من يطرح فكرة جديدة ، وشككنا في نوايا كل من ينتقد أو يعترض ، فإننا بذلك نحرم أنفسنا من الابداع الفكري ، ونخسر الآراء الصائبة ، ونشل العقول والأفكار .

ثالثاً : وإذا كانت قيمنا ومبادؤنا ثابتة دائمة ، فإن البرامج والوسائل والأساليب قابلة للتغيير والتطوير كلما تقدم الزمن ، ونحو الأحسن والأفضل وهذا ما يؤكده علينا ديننا الحنيف كما هو مفاد الحديث الشريف عن الامام موسى الكاظم (عليه السلام) : «من استوى يوماه فهو مغبون ، ومن كان آخر يوميه شرهما فهو ملعون ، ومن لم يعرف الزيادة في نفسه فهو في نقصان ، ومن كان الى النقصان فالموت خير له من الحياة» وقريب منه حديث عن الامام علي (عليه السلام) وآخر عن الإمام الصادق (عليه السلام) كما في بحار الأنوار الجزء٧٨ ص٢٧٧ ، ص٣٢٧ والجزء ٧٧ ص٣٧٧ وفي دعاء يوم الأحد للامام زين العابدين (عليه السلام) : «واجعل غدي وما بعده أفضل من ساعتي ويومي» .

ومسيرة التقدم والتطور في حياتنا المعاصرة بوتيرة سريعة في مختلف الأصعدة العلمية والتكنولوجية ووسائل المعرفة والاعلام والادارة ، فإذا ما تمسكنا بذات الأساليب والأدوات والمناهج الموروثة في أجوائنا العلمية والدينية ، فسوف تكون المسافة والفاصلة بيننا وبين ركب التقدم المعاصر كبيرة وواسعة . .

وقد انطلقت من وسط الحوزات الدينية والأجواء المرجعية صرخات مخلصة واعية تنادي بضرورة التغيير والتطوير في مناهج الدراسة الحوزوية ، وأساليب التربية العلمية ، وطرق

التثقيف والارشاد ، ووسائل التصدي القيادي للمرجعية ، وكتابات الامام الخميني (قدس سره) ومواقفه تعتبر مدرسة متكاملة في هذا المجال ، كما ان للمرجع الشهيد السيد الصدر (قدس سره) آراء وأفكار نقدية تطويرية لواقع الحوزات والدور المرجعي ، أشار الى بعضها في مقدمة حلقاته دروس في علم الأصول ، وفي اطروحته حول المرجعية الصالحة ، وفي محاضراته الأخيرة التي طبعت تحت عنوان «المحنة» .

وفي ايران كان موضوع تطوير واقع المرجعية محل بحث ونقاش من قبل العديد من العلماء والمفكرين عقيب وفاة المرجع السيد البروجردي (رحمه الله) وانعقدت لذلك جلسات شارك فيها مثل المرحوم السيد الطالقاني والشهيد مطهري والمفكر محمد تقي شريعتي وغيرهم وطبعت على اثر ذلك عدة بحوث في كتاب بعنوان «مرجعيت وروحانيت» باللغة الفارسية ، وقد ترجم بحث الشيخ المطهري الى اللغة العربية وطبع باسم (الاجتهاد في الاسلام) . ولا ننسى في هذا المجال الآراء الجريئة التي بثها العلامة المرحوم الشيخ محمد جواد مغنية ضمن كتاباته المختلفة العديدة . .

وقد آن الوقت لأن يكون موضوع تقويم ودراسة الواقع الحوزوي والمرجعي مدار بحث ونقاش جاد ، ضمن لجان متهمة ، أو مؤتمرات هادفة ، أو حوار بناء من خلال المنابر الثقافية والاعلامية .

رابعاً : للمرجعية الدينية دورها الخطير في الأمة ، وواقعها يؤثر تأثيراً بالغاً على أوضاع الطائفة الشيعية ، من هنا فهي ليست بعيدة عن تحمل مسؤولية ما تعيشه الطائفة من واقع وأوضاع ، وإذا كانت هناك معوقات وعقبات تضعف قدرة المرجعية على التصدي القيادي فيجب ان تتحمل الطائفة جميعاً مسؤولية معالجة تلك المعوقات وإزالة تلك العقبات . . وإذا كانت التحديات الكبيرة المعاصرة تفرض على الأمة ان تكون في مستوى الاستجابة لهذه التحديات فإن المرجعية هي المعنية بذلك بالدرجة الاولى .

لذلك فمن حق المخلصين والواعين ان يدقوا أجراس الخطر ، ويبدو تخوفهم وقلقهم على مستقبل المرجعية الدينية ، وأملنا في المراجع العظام ، والمسؤولين الكرام في الحوزات العلمية ان لا تشغلهم مزايدات المصفقين والمؤيدين عن الإصغاء لأصوات المخلصين والواعين .

س : للمنبر الحسيني والمجالس الحسينية دور كبير واضح في واقع المجتمعات الشيعية وباعتباركم أحد خطباء المنبر كيف تقيّمون دور وواقع المنبر والخطابة الحسينية حالياً وهل تواكب الأوضاع والتطورات السياسية والاجتماعية ؟

ـ كما هو معروف فإن المنبر الحسيني أصبح الوسيلة المتاحة للتثقيف الجماهيري لدى الشيعة ، ولعب دوراً كبيراً في تنمية الولاء لأهل البيت عليهم السلام والانشداد النفسي لتاريخهم وذكرياتهم في أوساط المجتمع الشيعي .

وهناك عوامل وعناصر قوة كبيرة متوفرة للمنبر والمجلس الحسيني منها : الحالة الشعبية الجماهيرية لهذه الظاهرة حيث تنعقد المجالس بمبادرات أهلية لا شأن ولا دور للسلطات فيها، ويختار الناس خطباءهم وفق رغبتهم ودون تدخل من أحد ، وايضاً : فتجاوب الناس وإقبالهم

والتفافهم حول المجالس الحسينية وخاصة في أيام المحرم وسائر المناسبات الدينية أمر يدعو الى الاعجاب والدهشة . كما ان الأجواء العاطفية المشحونة التي تسيطر على المجالس تجعل القلوب والنفوس مستعدة للتأثر والتفاعل مع ما يبثه الخطيب . .

وبذلك تستطيع المجالس الحسينية ان تفعل الكثير ، وأن تترك الأثر الكبير في الجمهور الشيعي ، إلا أن هناك بعض المعوقات التي تضعف دور المنبر وقدرته على إحداث أقصى ما يمكن من تأثير منها :

ـــ الظروف السياسية والتي تحد من حرية الخطيب في طرح المواضيع المواكبة للأوضاع والمهتمة بشؤون الساعة ، فما دامت الحرية الفكرية والسياسية غير متوفرة في العديد من البلدان ، فإن المنبر يكون مقيداً بما تحيطه من ظروف . . ونعرف كيف ان بعض الخطباء الذين أرادوا تبليغ رسالتهم الدينية دون مبالاة بالظروف المحيطة قد دفعوا حياتهم ثمناً لشجاعتهم ، والبعض تحملوا السجون والتنكيل والتشريد ، كما حصل لخطباء ايران المجاهدين في عهد الشاه المقبور ، وكما حصل في العراق .

ـــ الضغوط التقليدية : حيث تصر بعض المجتمعات على التزام الخطيب بنمط واسلوب تقليدي موروث في خطابته ، وأن يكرر عليهم ما ألفوا من قصص وقضايا السيرة ، دون التعرض لمشاكل المجتمع وهمومه ، كما أن مقياس جودة الخطيب في هذه الأوساط التقليدية يكمن في مدى قدرته على استثارة العواطف ، ومقدار رقة صوته في طرح مآسي ومصائب أهل البيت عليهم السلام . بالطبع لا بد أن تتوانى ان مثل هذه الضغوط بدأت في التقلص والانحسار بانتشار الوعي والفهم .

ـــ مستوى الخطيب وهدفيته : فمع قدم الخطابة الحسينية عندنا ، وشدة الحاجة الى الخطباء ، وانتشار المجالس الحسينية ، إلا أن إعداد الخطيب يتم بشكل عفوي واندفاع وبرنامج ذاتي ، فليس لدينا معاهد في حوزاتنا العلمية لإعداد الخطباء أو لتحسين مستوياتهم ، وليست هنالك برامج مساعدة لتربية الخطباء وتطويرهم ، ومع الأسف حتى الفصل المختصر حول صناعة الخطابة في كتاب المنطق للمرحوم الشيخ المظفر ، عادة ما ينصرف المدرسون والطلاب عن تدريسه في الحوزات العلمية . . كل ذلك أدى الى أن يكون أكثر الخطباء في مجتمعاتنا ليسوا بالمستوى المطلوب من حيث نضجهم العلمي والثقافي .

والأمر الأخر : مسألة الهدف والرسالة ، فبعض الخطباء أصبح المنبر لديهم مهنة ومصدر معيشة ، والبعض الاخر أصبحت الخطابة لديهم هواية واحتراف ، ولا ينكر أن لدينا والحمد لله مجموعة من الخطباء الهادفين الرساليين الذين يعتبرون المنبر وسيلة لخدمة الأهداف المقدسة ، ويستثمرون المنبر في توعية الناس وتوجيههم لتحمل مسؤولياتهم الدينية والاجتماعية . .

والمطلوب في هذه المرحلة الحساسة الاهتمام أكثر بوضع المنبر والمجالس الحسينية من قبل مجاميع الخطباء، والجهات الواعية في الأمة ويمكن ان يتم ذلك عبر المقترحات التالية :

أولاً : ان تبدي المرجعية الدينية اهتماماً بهذا الجانب برعاية شؤون الخطباء وتفقد أحوالهم ، وتقديم التوجيهات لهم ، فمثلاً إذا طلب المرجع الديني من الخطباء أن يركزوا في

مجالسهم في هذا الموسم محرماً كان أو رمضاناً على مواضيع محددة يرى اهميتها ، فإن ذلك سيلقى استجابة وقبولاً من أكثر الخطباء ، وقد فعل ذلك المرحوم الامام الخميني (قدس سره) حيث كان يستقبل الخطباء الايرانيين أو خطباء العاصمة طهران قبيل عشرة المحرم ويوجه اليهم نصائحه وآراءه فكان ذلك مؤشراً جيداً طبعاً مع أخذ الفوارق بعين الاعتبار .

ثانياً : وضع برامج ضمن الحوزات العلمية لتربية الخطباء وتنميتهم . .

ثالثاً : عقد مؤتمرات عالمية أو محلية بين الخطباء لتبادل الرأي والتجارب وللمناقشة في اختيارهم المواضيع وتطوير المحتوى والاسلوب الخطابي ، وإننا لنتعجب من أخبار المؤتمرات التي تعقد في الغرب حول أبسط الأشياء وأسخفها كما قرأت أخيراً عن مؤتمر حقوق المدخنين الذي انعقد في هلسنكي / فنلندا قبل ثلاثة أشهر أواخر الشهر الحادي عشر من السنة الميلادية الماضية ١٩٩٠م ، والذي نشرت عنه الجرائد ووكالات الأنباء انه استمر لمدة يومين وحضره (١٢٠) ممثلاً من دول اوروبا والولايات المتحدة الامريكية وامريكا الجنوبية واليابان واستراليا !!

بينما تكون الدعوة الى مؤتمر للخطباء أمراً مثيراً للاستغراب والجدل في أوساطنا ! وقد يعتذر البعض بعدم مساعدة الظروف السياسية على مثل ذلك ، لكن هذا ليس وارداً في كل مكان ، فهناك بلدان يمكن لخطبائها أن يجتمعوا ويتبادلوا الرأي والتجربة .

ومن الذكريات العزيزة على نفسي في هذا المجال انه في سنة ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م هاجرت الى منطقة عبادان في خوزستان ودعوت الخطباء هناك من عبادان والقصبة الى التعاون والاجتماع فتشكلت جمعية الخطباء كان يشارك فيها حوالي (٤٥) خطيباً بمستوياتهم المتفاوتة ، وكنا نلتقي اسبوعياً ، ونتبادل الاستفادة ولكن اندلاع المشاكل السياسية هناك ثم وقوع الحرب مزّق ذلك الشمل والاجتماع .

رابعاً : إصدار المجلات المتخصصة التي تعنى بشؤون الخطابة وقضايا الخطباء ، والعالم يعج الآن بالمجلات التخصصية في مختلف المجالات الفكرية والاجتماعية ، فحول الكمبيوتر مثلاً تصدر الآن العديد من المجلات ، وكذلك حول الميكانيك ، وحول الفن ، وحول الأزياء ، وحول أغلب المجالات . . فمناسب جداً صدور مجلات تهتم بأخبار الخطباء وتراجمهم الماضين منهم والمعاصرين ، وبأخبار المجالس الحسينية ، وبالقضايا التي تهم الخطباء من حيث محتوى الخطابة أو اسلوبها .

خامساً : ان يتفضل الخطباء الكفؤون الناجحون بتقديم تجاربهم وأفكارهم ليستفيد منها سائر الخطباء ، كالعلامة الخطيب الشيخ محمد تقي فلسفي والاستاذ الخطيب الدكتور الشيخ احمد الوائلي والخطيب البارع الشيخ عبد الحميد المهاجري ، إن آراء وتجارب مثل هؤلاء الأساتذة الرواد ستكون مفيدة ونافعة للخطباء الجدد والناشئين . .